رسالة الكندى

فى مائية ما لا يمكن أن يكون لا نهاية [له] وما الذى يقال : «لا نهاية له»

مقـــدمة

تمثّل هذه الرسالةُ أيضا طريقةَ الكندى المنهجية فى تقديم المقدمات والبناء عليها ؛ وهى تبدأ ، بعد الديباجة المألوفة ، بذكر أربع مقدمات رياضية بديهية ، كما فى الرسالة السابقة ، هى أساس لإقامة الدليل على أنه يستحيل وجودُ جرم بالفعل لا نهاية له ، وذلك ببيان ما ينشأ عن ذلك من التناقض ؛ وهذا ما نجده أيضا فى الرسالة التالية . ثم يثبت الكندى تناهىَ الجسم ؛ وبعد أن يؤكد علاقة التوقُّف والتوازى بين الزمان والحركة والجرم ، يحاول إثباتَ أن الزمان متناهٍ ، له أول ، لأنه ـ كالحركة ـ لابد له من «من» و«إلى» . وبما أنه لا يمكن أن يوجد اللاتناهى لا فى الجرم ولا فى الحركة ولا فى الزمان من حيث الفعل ، ينتهى الكندى إلى أن اللاتناهى لا يكون إلا بالقوة والإمكان .

وفى رسالة الكندى هذه عبارةٌ ، وراءها فى أغلب الظن فكرةٌ دقيقة ، قد لا يفطن لها الإنسان لأول وهلة : فهو يقول (ص١٩٦) إن الجرم فى مدة «مِنْ» ، بمعنى أنه موجود ، وهذا هو الطرف الأول للزمان ، وهو بدايته ؛ ولما كان الكندى يقول ، كما فى الرسالة التالية ، بصراحة لا تحتمل الشك ، إن العالم وكل ما له من حركة وزمان مُبْدَعٌ ، أى مخلوقٌ محدَثٌ عن ليس ، فكأن الجسم يوجد ويتحرك ، فيمكن السؤال عن قيمة رأى الكندى فى أن الجسم موجود فى «من» من حيث علاقتُه ببحث أصحابه ، معتزلة عصره ، فى حال الجسم حين خلقه الله : هل هو متحرك ، كما يقول النظام ؛ أم هو ساكن ، كما يقول عبّاد بن سليمان وأبو على الجبائى ؛ أم لا ساكن ولا متحرك ، كما يقول أبو الهذيل العلاّف[1] ؟ كما يمكن

---

(١) راجع مقالات الإسلاميين للأشعرى ص ٣٢٤ — ٣٢٥ ؛ وكتاب ابراهيم النظام تأليف محمد عبد الهادى أبوريدة ، ص ١٣١ ومابعدها .

السؤال أيضا عن قيمة ما يحكيه الأشعرى من قول بعض « المتفلسفة » إن الجسم «فى حال خلق الله له يتحرك حركة هى الخروج من العدم إلى الوجود»[١]، وذلك بالنسبة لرأى الكندى فى الإبداع عن لا شىء.

والكندى ينكر فى كتابه « فى الفلسفة الأولى » (ص ١١٨ وما بعدها مما تقدم) أن جرم العالم كان ساكناً، ثم تحرك؛ ويحاول أن يثبت أن كون العالم أو وجوده وحركته متلازمان، لم يسبق أحدهما الآخرى. والمعروف أيضاً عند الكندى أن الوجود كونٌ وأن الكون حركة.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

العزة لله

رسالة الكندى

فى ماثية[٢] مالا يمكن أن يكون لانهاية [له] وما الذى يُقال: «لا نهاية له»

حاطك الله بتوفيقه، و بلّغك من درك الحق نهايةَ آمالك، وزيّن به كلَّ أعمالك!

فهمتُ ما سألتَ من رسم قول يتّضح لك به ما الذى لا نهاية له وفى أى نوع يُقال ذلك، وما الذى لا يمكن أن يكون لا نهاية له؛ وقد رسمتُ من ذلك بحسب ما رأيتُه لك كافياً بقدر موضعك من النظر، فكن به وبجميع ظاهرات الحق سعيداً — فنقول:

[ا] إن كلَّ شىء ينقص منه شىء، فإن الذى يبقى أقلُّ مما كان قبل أن ينقص منه؛

[ب] وكلُّ شىء نقص منه شىء، فإنه إذا ما رُدّ إليه ما كان نقص منه، عاد إلى المبلغ الذى كان أولاً؛

---

(١) المقالات ص ٣٢٥.

(٢) أى ماهية.

[ج] وكلُّ أشياء متناهية ، فإن الذى يكون منها ، إذا جُمعت ، متناهٍ[١] ؛

[د] فإذا[٢] كان شيئان ، أحدُهما أقلُّ من الآخر ، فإن الأقل بَعْدَ الأكثر أو بعد بعضه ، وإن عدَّ كلَّه فقد عدَّ بعضه .

فإنْ فُرِض جرمٌ لا نهاية له فتوهمْ شيئاً[٣] نقص منه شيءٌ ؛ فإنّ ما بقى منه لا يخلو من أن يكون متناهياً أولا متناهياً :

فإن كان ما بقى منه متناهياً ، فإنه إذا أُعيد إليه ما أُخذ منه المتناهى كانت جملتُها[٤] جميعاً متناهية ؛ وجملتُها هذه المتناهية هى ما كان أولاً مفروضاً لا متناهيا ؛ فإذن الذى لا متناهٍ متناهٍ — وهذا خلف لا يمكن .

وإن كان إذا أُخذ من الجرم الذى لا متناهٍ ، متناهٍ ما أُخذ منه ، [و][٥] كان الذى بقى لا نهاية له ، فهو[٦] أقل مما كان قبل أن يُؤخذ منه ؛ لأن كل شيء اخذ منه شيءٌ ، فإن الذى يبقى منه أقلُّ مما كان قبل أن يؤخذ منه ؛

فإذن قد صار شيءٌ لا نهايةَ له أقلَّ منْ شيء آخر لانهاية له ؛ وأقل الشيئين بَعْدَ أكثرهما أو بعد بعضه ؛ وإن كان بعده فهو بعد بعضه ، فإذن الذى لا نهاية له [هو] الأكبر ؛

والأشياء المتساوية هى التى أبعادُ [مابين] نهاياتِها المتشابهة متساويةٌ ، فكانت الأبعادُ كميةَ أو رتبة[٧] الذى لا نهاية له ؛ فالذى لا نهاية له الأصغر له نهايات ؛ وهذا خلف لا يمكن ؛

---

(١) فى الأصل : متناهية .

(٢) لعلها وإذا ، لأنه ليس للفاء ضرورة منطقية لغوية .

(٣) فى الأصل: شيء ؛ ويجوز لغويا أن تكون صحيحة ، لكن مع بعد فى المعنى ومع قراءة كلمة فتوهم ، على نحو آخر : فتَوهُّم .

(٤) هكذا فى الأصل ، ولم أغيرها .

(٥) زيادة إيضاحية لامكان قراءة أقرب إلى المنطق .

(٦) فى الأصل : وهو — وقد صححتها ليستقيم الاستدلال .

(٧) بعد كلمة الأبعاد ما يشبه الدال متصلة بما بعدها ، بحيث يمكن أن نقرأ هذه الكلمة التالية : خطية (تخطيط = حدود ؟) ، لكنها لاتشبه كلمة الخطية فى الرسالة المتقدمة من حيث الخط — فآثرت تصحيحها كأحسن ماستطعت .

فإذن ليس يمكن أن يكون جرمٌ لا نهاية له بتّة ، إذْ كان فى جميع أقسامه هذه الإحالاتُ والامتناعاتُ ؛

وما كان محصوراً فى المتناهى ، فهو متناهٍ بتناهى حاصره ؛ فإذن محمولاتُ الجرم التى لا قِوام لها إلا به [١] ، المحصورةُ فيه ، متناهيةٌ بتناهى الجرم .

والفعل خارج عن القوة ، إذ هى علّتُه ، والفعل متناهٍ بتناهى القوة ؛ [٢] والزمان مُدّةٌ تعدُّها الحركةُ ، فإنْ لم يكن حركةٌ لم يكن زمانٌ ؛

وإن لم يكن متحركٌ الذى هو الجرم — لم يكن حركةٌ ؛ فإنْ لم يكن جرمٌ لم يكن زمانٌ ولا حركة ؛ وإن كان زمانٌ فحركةٌ ، وإن كان حركة فجرم ؛

فإن لم يكن زمانٌ لم يكن مدةٌ تعدها الحركة، لأنه إن كانت حركة متتالية ، «فمن ... إلى [٣] »موجودٌ ، أعنى إنيّة[ ] [٤] إلى [٥] مدة «من .. إلى»[ ] [٦] .

فإن لم يكن حركةٌ ، فليس موجوداً [٧] مدةٌ ولا حركة ؛ وإن لم يكن حركةٌ ولا زمان ، فلا شىء « من ... إلى » ؛ وإن لم يكن « من ... إلى » ، فلا مدّة ؛ وإن لم يكن مدةٌ ، فلا جِرْمَ ، لأن الجرم فى مدة من [٨] ؛ لأنه ،

---

(١) فى الأصل إلا أنه .

(٢) يجب ألا نفهم هذا الكلام فهما حرفيا ؛ فليست القوة هى علة الفعل ، وإن كانت الأشياء التى بالفعل تسبقها القوة عادة . ومن المعروف أن الكندى فى رسائل أخرى يقرر أن الشىء لا يصير بالفعل بعد أن كان بالقوة إلا بواسطة شىء بالفعل .

(٣) يعنى لابد للحركة من طرفين موجودين — يقصد أيضاً أنه إن كانت الحركة المتتالية موجودة ، فإن فيها نقطة تصلح أن تكون طرفا (بداية) ونقطة تصلح أن تكون طرفا آخر (نهاية) ، وهذا إن كان يؤكد طرفى الحركة فهو أساس فكرة الزمان كما ترى .

(٤) بياض فى الأصل

(٥) هكذا فى الأصل : — ولعل الصواب : أى

(٦) بياض فى الأصل لعله لا يقابله ولا الذى قبله شىء — بل محوٌ من الناسخ

(٧) فى الأصل : موجود

(٨) لعله يقصد بدء الزمان بعد وجود الجرم وحركته ، وهذا ما يتفق مع رأى الكندى فى حدوث الجرم وحركته اللازمة لوجوده ولوجود الزمان — وإلا فلعلها يجب أن تكون : « من ... إلى » أى أن الجرم متغير دائماً ، لأنه متحرك دائماً بأحد أنواع الحركة أو أنه موجود فى زمان متناهٍ من أوله ومن آخره . وكل هذا موجود فى فلسفة الكندى

وإن لم يكن ولا الآن ، واحد ، فلا حالَ البتة ولا وجود لهويّة جرمية [١] ؛ فإن لم يكن حركةٌ ولا زمان فلا جرمَ . فإذنْ الجرم والحركة والزمان لا يسبق بعضها بعضاً .

وليس يمكن أن يكون زمانٌ لا نهايةَ له فى البدو ؛ لأنه إن كان زمانٌ لا نهاية له فى البدو لم يتناه [٢] إلى زمن مفروض بتّةً ، لأنه [٣] إن أتى من لا نهاية [له] إلى زمن مفروض ، فمِنْ لا نهاية [له] إلى زمن مفروض معدود أجزاء متساوية [٤] من الزمان ؛ فإن كان من لانهاية فى الزمن إلى زمن مفروض معدود ، فمن الزمن المفروض متصاعداً فى الأزمنة التى سلفت مساوٍ [٥] من لا نهاية إلى الزمن المفروض ، لأن من لا نهاية إلى الزمن المفروض مُقبلا هو الزمن بعينه الذى هو من المفروض إلى مالا نهاية راجعا ؛ فإذن المعدود المساوى لمعدودٍ متناهٍ [٦] يتناهى [٧] ، لأن الأعداد المتساوية هى التى لا يزيد بعضُها على بعض ولا وحدانيةً واحدة ؛

فإذن الزمن الذى لا نهاية له متناهٍ — وهـذا خلف لا يمكن ، فإذنٍ إنية الزمن متناهية .

وقد أنبأنا أن الزمان والحـركة والجرم لا يسبق بعضُها بعضـاً فى الإنية ؛

---

(١) فى الأصل لهويته جرمية ، وكذلك العبارة من قوله لأنه . . . إلى جرمية — والمعنى غامض بسبب سقوط بعض الكلمات فى الغالب . غير أن السياق يدل على أن المقصود هو أنه لا يمكن أن يكون الجرم إلا فى زمان ممتدّ ، وهذا يقضى أن تكون هناك حركة واختلاف أحوال — راجع ص ٢٠٥ س ٩ ، فقد يتضح المراد هنا

(٢) فى الأصل : ولم يتناهى — ويمكن بحسب النص فى الرسالة التالية اسقاط الواو من كلمة ولم ، كما يمكن أن نقرأ النص بدون لم كما فى نفس الرسالة

(٣) يمكن فهم الاستدلال من هنا إلى آخر الفكرة بمقارنة النص بما يقابله فى الرسالة التالية وفى رسالة الفلسفة الأولى ص ١٢١ ؛ ويمكن تعديل النص بعد المقارنة ، وإن كان — فيما عدا الزيادات الإيضاحية — كما فى الأصل .

(٤) فى الأصل : أجزاء المتساوية

(٥) فى الأصل مساويا .

(٦) فى الأصل : متناهى .

(٧) هكذا النص ، ولعلها : متناه .

فإذن لا الجرمُ ولا الحركة ولا الزمان أزلية ، بل ذاتٌ أزلية[١] فى بدو الإنية ؛ فإذن ليس شىء البتة بالفعل لانهاية له[٢] ؛ فإذن إنما يوجد «لانهاية» فى الإمكان [ ][٣] ؛ فلا أقول إنه يمكن أن يكون لكل كمية ضعفُ إمكان دائما ، فكلما خرج من ذلك شىءٌ إلى الفعل خرج متناهيا ؛ فإن ضِعْفَ الشىء شيئان[٤] ، وضعفَ الشيئين أربعة[٥] ؛ غير أن الأعداد تخرج متضاعفة أبداً ، فهى ممكنٌ أن تتزيد أبداً ؛ وكل ما مضى فهو من هذا التزيد فى الزمان شىء ، فهو متناهى العدد ؛ فلذلك ما نقول إنه ليس شىء لا نهاية له بالفعل ، فأما بالقوة فليس يوجد «لانهاية» فى غيرها — أعنى بالقوة الإمكان .

فقد تبين ما الذى لا نهاية له وما الذى لايمكن أن يكون لا نهاية له .

وهذا فيما سألتَ كافٍ ، كفاك الله للمهمّ فى دنياك وآخرتك ، وأعانك على درْك الحق والانتفاع بثماره ، وحاطك بتسديده من كل زلل ، وسدّدك بتوفيقه لأزكى عمل !

تمت الرسالة ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على رسوله محمد وآله أجمعين ؟

---

(١) يمكن أيضا قراءتها : أولية ، والمقصود هنا هو الذات الإلهية ، بحسب فلسفة الكندى

(٢) يقصد فيما له كمية ، وهذا لايتنافى مع أزلية البارى ، وكونه بالفعل

(٣) بياض فى الأصل

(٤) فى الأصل : شيئين

(٥) فى الأصل : أربع